

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن سورة الاسراء التي تتضمن قصة الاسراء تظم
أعلانات ، صارخة لافتة يبتدئ بها عهد جديد في
تاريخ الأديان ، وفي مصير الأمم .

تضم هذه السورة الكريمة إعلاناً بانقضاء عهد قيادة
بنى إسرائيل الدينية والخلقية و سيادتهم الروحية والسياسية
التي أكرموا بها بفضل النبوة والملوكية اللتين اجتمعتا
فيهم (١) و ظلوا يتمتعون بها دهرأ طويلا ، ثم سجاوا

(١) و إذ قال موسى اقوموا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء و جعلكم
ملوكا و آتاكم ما لم يزلت أحدأ من العالمين (المائدة ٢٠)

على نفوسهم من المآسى والمهازل و تبديل نعمة الله ،
و سوء استعمال مواهبهم ، و تقض الميثاق الذى أخذ
منهم ، والافساد فى الأرض مرة بعد مرة ، والعلو الكبير
ما أوجب انتزاع هذا المنصب الجليل والكرامة التى
ليس فوقها إلا النبوة و نقلها إلى أبناء عمومتهم الذين
كان اليهود يعيرونهم بالأمية و ينظرون إليهم بعين الاحتقار ،
و تضم هذه السورة الكريمة و قصة الاسراء إعلاناً
بأن محمداً صلى الله عليه و سلم هو نبي القبلتين ، و إمام
المشرقين والمغربيين ، و وارث الأنبياء قبله ، و إمام
الاجيال بعده ، فقد التقت فى شخصه و فى إسرائه مكة
بالقدس والبيت الحرام بالمسجد الأقصى و صلى الأنبياء
خلفه ، فكان هذا إيذاناً بعموم رسالته و خلود إمامته ،
و انسانية تعاليمه و صلاحيتها لاختلاف المكان
و الزمان (٢) .

و ضمت هذه السورة الكريمة إعلاناً آخر ليس

(٢) أخذنا هذه الفكرة الأساسية و انتهينا لها عن طريق البحث القيم الذى جاء فى
المجلد الثالث من سيرة النبي ، لأستاذنا العلامة السيد سليمان الندوى فى
موضوع الامراء والمعراج .

بأقل أهمية و قيمة من . الاعلانيين الاولين » و هو
تحديد شخصية النبي صلى الله عليه و سلم و تحديد زعامته و
إمامته ، و تحديد مكانة الأمة التي يمت فيها . و آمنت به ،
و تحديد رسالتها و دورها الذي ستمثله في العالم . و من
بين الشعوب و الأمم ،

لقد كان محمد صلى الله عليه و سلم - بالقوى التي
جيل عليها والمواهب التي خص بها ، والفرص التي
أتيحت له - من أجدر الناس بقيادة شعب أو بلاد .
و من أجدر الناس بزعامة أمة تخلفت في الحياة ،
أو عاشت في عزلة عن العالم ، و من أقوى الزعماء والقادة
و أقدرهم على نفخ روح جديد وافتتاح عهد سعيد في أمة
كالأمة العربية ، و في بلاد كالجزيرة العربية ، و ما أجدره
بأن ينظر إليه من تسره عظمة العرب ، و من يهمة مجد
العرب ، كمؤسس للأمة العربية الجديدة ، و مؤسس
للإمبراطورية العربية الجديدة ، و كمؤسس للمجتمع العربي
الجديد ، فقد كان كل هذا ، و أكثر و أعظم ، فعلى يده
و يد أتباعه المجاهدين انتفضت الأمة العربية انتفاضة

لم تخطر على بال ، و على يده و يد أتباعه قامت الامبراطورية
العربية العظمى التي لم يحلم بها كبار الطامحين ، و على يده
و يد أتباعه قام المجتمع العربي الجديد الذي ولد ثقافة ،
و ولد أدباً ، و ولد فلسفة ، و ولد حضارة ، كل منها
جديد ، و كل منها مفيد ،

لقد كان محمد صلى الله عليه و سلم جديراً كل الجدارة
بأن ينظر إليه من هذه الناحية و تتشرف الزعامة القومية
بالانتساب إليه و أن نعتبره بطلا من أبطالها ، فليس
أحد أعظم فضلاً و أكرم يداً على الأمة العربية و المجتمع
العربي من هذه الشخصية الكريمة الفريدة ،

ولكن جاء ، الاسراء ، خطأ فاصلاً بين هذه الناحية
الضيقة المحلية المؤقتة و بين شخصيته النبوية الخالدة العالمية
إذا كان الرسول زعيم أمة أو قائد إقليم أو منقذ عنصر ،
أو مؤسس مجد لم يكن في حاجة إلى الاسراء . والمعراج ،
و لم يكن في حاجة إلى سياحة في عالم الملكوت . و لم يكن
في حاجة إلى أن تتصل بسببه الأرض بالسما . اتصالاً جديداً ،
لقد كان في أرضه التي يعيش فيها و في محيطه الذي يكافح

فيه ، و في مجتمعه الذي يسعى لأسعاده غنى و سعة ، لا يفكر في غيره و لا يتجاوزه إلى رقعة أخرى من الأرض فضلا عن السماوات العلى و سدرة المنتهى ، و فضلا عن المسجد الأقصى الذي يبعد عن بلده بعداً كبيراً ، والذي كان في ولاية الديانة المسيحية و حكومة الأمة الرومية القوية ،

و جاء « الاسراء » ، و أعلن أن محمداً صلى الله عليه و سلم ليس من طراز القادة والزعماء الذين لا تتجاوز مواهبهم و جهودهم و دوائر كفاحهم حدود الشعوب و البلاد ، و لا تسعد بهم إلا الشعوب التي يولدون فيها ، والبيئات التي ينبغون فيها . إنما هو من طراز الأنبياء والرسل الذين يحملون رسالات السماء إلى الأرض ، و يحملون رسالات الخالق إلى الخلق ،

و تسعد بهم الإنسانية على اختلاف شعوبها و طبقاتها ، و عهودها و أجيالها ، و إذا كان منصب القيادة العالمية والسيادة الروحية والسياسية قد نقل إلى أتباعه — و على رأسهم و في مقدمتهم العرب — كان ذلك إيذاناً بأن

العرب سيكون لهم شأن آخر ، إنهم ينتقلون الآن
— بفضل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم — من قيادة
لا تتجاوز حدود الجزيرة — إن توسعت كثيراً إلى
قيادة يشمل العالم كله و تشمل الانسانية كلها ، إنهم لا يفكرون
بعد الآن في القبائل والفصائل ، و في ربيعة و مضر ،
و في عدنان و قحطان ، إنهم يفكرون الآن ، في قضايا
النوع البشرى كله و سعادته و شقائه ، إنهم لا يكافرون
الآن ، للانتصاف بقبيلة في قبيلة و الانتصار للواء دون
لواء أو لجمع القبائل المتناحرة المتنافسة تحت لواء عربى واحد
و تحت سيادة زعيم واحد ، إنهم يفكرون الآن في جمع
شئات الانسانية و شملها و إيجاد الوحدة والمحبة و الثقة
و الصفاء في قلوبها المختلفة و أهوائها المنتشرة و كلياتها المتعددة
و شعائرها المتضاربة ، إنهم منذ اليوم لا يعيشون لأنفسهم
و لا يكافرون لمصالحهم ، إنهم سيعيشون للانسان أينما كان ،
و يكافرون للايمان إلى أقصى المكان و إلى آخر الزمان ،
لقد ربطت ناصية الانسانية و سعادتها بناصيتهم ، و كتبت
لهم الوصاية العادلة الفاضلة على العالم كله ،

ما أعظم التطور الذي حدث في تاريخ العرب عن
إثر بعثة محمد صلى الله عليه وسلم نادى به بسورة الإسراء
وقصة المعراج في لغة صريحة بليغة وفي أسلوب مبين
مشرق ، وما أنظم النعمة التي أسبغها الله على العرب . نظم
من جزيرتهم التي يتناحرون فيها إلى العالم الفسيح الذي
يقودونه بناصيته . و من الحياة القبلية المحدودة التي ضاؤوا بها
إلى الإنسانية الواسعة التي يشرفون عليها و يوجهونها ،
و أصبحوا بفضل هذا التطور العظيم الذي فأجأ العرب و
فأجأ العالم يقولون بكل وضوح و شجاعة لامبراطور المملكة
الفارسية العظيمة و أركان دولته ، الله ابتعثنا ليخرج من شاء
من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، و من ضيق الدنيا إلى
سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الإسلام .
نعم لقد خرجوا من ضيق الدنيا أولاً إلى سعتها ثم
أخرجوا الأمم من ضيق الدنيا إلى سعتها آخرأ ، و هل
أضيق من الحياة القبلية والجنسية ، و أوسع من الحياة
الإنسانية الآفاقية ، و هل أضيق من الحياة التي لا يفكر
فيها إلا في المسادة الزائلة والحياة الفانية و لا يجاهد إلا في

سبيلها من الحياة الايمانية الروحانية التي لانهاية لها
ولا تحديد ،

لقد خرجوا من ضيق جزيرة العرب ، ضيق
الحياة فيها و من ضيق التفكير في مسائلها و مصالحها ،
و من ضيق التنافر على سيادتها ، و من ضيق التكاليف
على حطامها القليل و ملكها الضئيل و عيشها الذليل ،
إلى عالم جديد من السيادة الروحية و الخلقية و العملية
و السياسية ، ليس الدانوب الفاض و النيل السعيد و الفرات
العذب و السند الطويل إلا سواقي حقيرة و ترعاً صغيرة
فيه ، و ليست جبال الالب و البرانس و عقاب لبنان و
قم هماليا إلا تلالاً متواضعة و سدوداً صغيرة ، و ليست
البلاد الواسعة كالهند و الصين و تركستان إلا أحياء ضيقة
و حارات صغيرة ، و نقطاً مغمورة في هذا العالم ، و
ليست هذه الأرض كلها — إذا نظر إليها من ارتقى إلى
قمة هذه السيادة — إلا خريطة صغيرة ملونة يراها الطائر
المحلق في السماء ، و ليست الأمم الكبيرة مع ثقافات
و حضاراتها و آدابها — إلا أسراً صغيرة في أمة كبيرة ،

لقد قام العالم الكبير على أساس العقيدة الواحدة .
والايمان العميق ، والصلة الروحية القوية ، وكان أوسع من
عرفه التاريخ . وكانت الشعوب التي تكون هذا العالم
أقوى أسرة عرفها التاريخ . تنحصر فيها الثقافات المختلفة .
والعقول المختلفة ، والعقائد المختلفة . فتكون منها ثقافة
واحدة هي الثقافة الاسلامية ، و تتكون منها عبقرية
واحدة هي العبقرية الاسلامية ، التي لم تنزل تظهر في نواحي
الاسلام الذين لا يحصيهم عدد و في المآثر الاسلامية
— بين علمية و عملية — التي لا يستقصيها التاريخ ،
لقد كانت — و لا تزال — قيادة هذا العلم بجدارة
و استحقاق أشرف قيادة و أعظمها و أقواها في تاريخ
الزعامة والقيادة ، و قد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا
لهذه الدعوة الاسلامية و تفانوا في سبيلها فأحبهم الناس
في العالم حباً لم يعرف له نظير ، و قلدهم في كل شئ
تقليداً لم يعرف له نظير ، و خضعت للغتهم اللغات ، و
ثقافتهم الثقافات ، و الحضاراتهم الحضارات ،
فكانت لغتهم هي لغة العلم والتأليف في العالم المتمدن .

أقصاه إلى أقصاه ، وهى اللغة المقدسة الحبيبة التى يؤثرها
الناس على لغاتهم التى نشأوا عليها و يؤلفون فيها أعظم
مؤلفاتهم و أحب مؤلفاتهم ، و يتقنونها كأبنائها و أحسن ،
و ينبغ فيها أدباء و مؤلفون يخضع لهم المثقفون فى العالم
العربى ، و يقر بفضلهم و إمامتهم أدباء العرب و نقادهم ،
و كانت حضارتهم هى الحضارة المثلى التى يتمجد
الناس و يتظرفون بتقليدها ، و يبحث علماء الدين على
تفضيلها على الحضارات الأخرى و يطلقون على — كل ما
يخالفها من الحضارات — اسم « الجاهلية » ، و « العجمية »
و ينهون عن اتخاذ شعائرها و مظاهرها ،
و بقيت هذه القيادة الشاملة الكاملة مدة طويلة
و الناس لا يفكرون فى ثورة عليها و فى التخلص منها ،
كما هى عادة المفتوحين و الأمم المغلوبة على أمرها فى كل
عهد ، لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح
أو المحكوم بالحاكم أو الرقيق بالسيد القاهر ، إنما هى صلة
المتدين بالمتدين ، و صلة المؤمن بالمؤمن ، و على الأكثر
إنما هى صلة التسابع بالمتبوع الذى سبقه بمعرفة الحق

والإيمان بالدعوة والتفاني في سبيلها ، فلا محل للثورة ،
ولا محل للتذمر ، ولا محل لتكران الجهيل . **رضاً لللائق**
أن يعرفوا لهم بالفضل ، و تلهج المستهم بالشكر والديان .
و أن يقولوا ، ربنا اغفر لنا و لآخوانك الذين سبقونا
بالإيمان و لا تجعل في قلوبنا غلا للذين
آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم . (١)

وهكذا كان ، فقد ظلت هذه الأمم المتوحشة تعتبر
العرب المنقذ من الجاهلية والوثنية ، والداعى إلى **طريق السلام** .
والقائد إلى الجنة ، والمعلم للحضارة ، و **الاستاذ في الأدب** .
هذه هي القيادة العالمية التى **مبتكراً البعثة المحمدية** ،
و أعلنتها سورة الاسراء و هى القيادة التى يجب أن يحرص
عليها العرب أشد الحرص ، و يعضوا عليها بالنواجذ . و
يسمعوا إليها بكل ما أوتوا من مواهب و يتواصوا بها الآباء
الآبناء ، و لا يجوز لهم - فى شريعة العقل والدين
والغيرة - أن يتخلوا عنها فى زمن من الأزمان ، فقبها
عوض عن كل قيادة مع زيادة . **وليس** ث غيرها عوض

عنها و كفاية ، وهى القيادة التى تشمل جميع أنواع القيادة والسيادة وهى تسيطر على القلوب والأرواح ، أكثر من سيطرتها على الأجسام والأشباح ،

إن الطريق إلى هذه القيادة مهيمة ميسورة للعرب ،

وهى الطريق التى جربوها فى عهدهم الأول ، الاخلاص للدعوة الاسلامية واحتضانها و تبنيها والتفانى فى سبيلها و تفضيل منهج الحياة الاسلامى على جميع مناهج الحياة ،

وبذلك -- من غير قصد و إرادة لئيل هذه القيادة

و تبوؤها - تخضع لهم الأمم الاسلامية فى أنحاء العالم و تنهالك على حبهم و إجلالهم و تقليدهم ، و بذلك تنفتح لهم أبواب جديدة و ميادين جديدة فى مشارق الأرض و مغاربها ، الميادين التى استعصت على غزاة الغرب و مستعمريه و ثارت عليه ، و تدخل أمم جديدة فى الاسلام ، أمم فتيحة فى مواهبها و قواها و ذخائرها أمم تستطيع أن تعارض أوروبا فى مدينتها و علومها إذا وجدت إيماناً جديداً ، و ديناً جديداً ، و روحاً جديداً و رسالة جديدة ،

إلى متى أيها العرب نصر فون فواكم الجبارة التي فتحتكم
 بها العالم القديم في ميادين ضيقة محدودة ، و إلى متى ينحصر
 هذا السيل العرم ... الذي جف بالأمس بالمدنيرات
 والحكومات ... في حدود هذا الوادي الضيق ، نطاق
 أمواجه و يلتهم بعضها بعضاً ، إللكم هذا العالم لانـ انى
 الفسبح الذي اختاركم الله لقيادته واجتباكم لهدايته . كانت
 البعثة المحمدية فاتحة هذا العهد الجديد في تاريخ أمتكم و في
 تاريخ العالم جميعاً و في مصيركم و مصير العالم جميعاً .
 فاحتضنوا هذه الدعوة الاسلامية من جديد و تضافوا في
 سبيلها و جاهدوا فيها ، و جاهدوا في الله حق جهاده
 . اجتباكم و ما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم
 إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل و في هذا يكون الرسول
 شهيداً عليكم و تكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة و
 آتوا الزكاة و اعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى و نعم
 نصير (1) .

مجلة
البعث الاسلامي

لسان حال الدعوة الاسلامية في العالم العربي
صدرها دار العلوم التابعة لدعوة العلماء الكهنة - الهند

إشتركاكتها :

في الهند وباكستان ٥ زويات للسنة الواحدة

في البلاد العربية والمخارج ٧٥٠ فلساً عراقياً

أو ما يعادلها للسنة الواحدة

نصف روية لعدد واحد

إلى
قبة القيادة العالمية

أبو الحسن علي الحسيني الندوي